الحبشية والعربية (١)

اللغة الحبشية هي احدى اللغات الشرقية المعروفة باللغات السامية وهي قديمة العهد جداً كأختها اللغة العربية وأصلها اللغة الحميرية التي لا تزال آثارها في بقايا العاديات في بلاد العرب .

ولها أخوات أُخَر وهي الارامية والسريانية والعبرانية . وبين العرب والحبش اتصال منذ القرون الغابرة وعلى هذا الاتصال براهين كثيرة تاريخية وجغرافية اقتصر منها على ذكر قصةٍ وردت في التوراة عن سَفَر (ميكاديا) ملكة سبا في (التيمن) الى اورشليم لتشاهد الملك سليمان ، فميكاديا هذه كانت احدى ملكات الحبش وكانت مملكة الحبش في عهدها مملكة عظيمة يمتد سلطانها الى بلاد النوبة ومصر ، فسلالة الفراعنة السادسة والثلاثون كلها حبشية ، و بلاد الكونغو وجزء من الهند ومن سواحل العرب الاسيوي فالبحر الاحمر لايزال يدعى الى اليوم عند الاحباش اريثريا ابثيوبيا اي الخليج الحبشي لامتداده في داخل بلاد الحبشة . وكانت التيمن اذ ذاك احدى ممالك تلك السلطنة الواسعة الاطراف وهي معروفة اليوم باسم اليمن وكانت قاعدتها مدينة سبا مشهورة بغناها ووفور الذهب فيها .

وقد تنبأ ابن سيراخ النبي عن مجيء ملوك المجوس الى اورشليم لدى ولادة المسيح والمجوس هؤلاء كانوا ملوكاً في الحبشة وفارس . فقد جاء في سفره مخاطباً مدينة اورشليم العظمى بقوله : « سوف يأتونكِ من بلاد سبا حاملين ذهباً » .

اكتفى بهذين الشاهدين عن البينات التاريخية الجمة التي تثبت قدم اتصال الحبش بالعرب . لذلك لا عجب اذا كانت لغتهم اختاً شقيقةً للغتنا العربية العريقة في القدم . مر الزمان وكرّت الاجيال ولغتنا الشريفة حيةً يتكلم بها بنوها في الاقطار السورية والحجازية والعربية والمصرية والمغربية ويقرأها الملايين سواهم من المسلمين في آسيا وافريقيا وأوربا واميركا لانها لغة القرآن الكريم . اما اخواتها اللغات السامية فقد

(١) من خطاب القاه الاستاذ السيد عبد الله رعد احد اعضاء المجمع العلمي يوم قبوله عضواً فيه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

امست في عداد اللغات الميتة . وقد صار بعض هذه اللغات في خبر كان ولم يبق الا آثارها في العاديات كالآرامية ، والبعض الآخر بقي لغة الكتب الطقسية الدينية كالسريانية والعبرانية والحبشية وهي من هذا القبيل اشبه باللاتينية واليونانية اللتين ماتتا وبقيت آثارهما في الكتب الدينية . وكما ان اليونانية القديمة ولهجات الحديثة واللاتينية خلفت ذرية من البنات وهي الفرنساوية والايطالية والاسبانية ، كذلك اللغات السامية الميتة خلفت من بعدها السريانية الحديثة التي يتكلم بها بعض أهل مابين النهرين وفرع آخر منها يتكلم به بعض قرى جبل القلمون في سوريا كمعلولا وعين التينة . وعلى هذا المثال خلفت اللغة الحبشية القديمة من بعدها لغات تكتب وتقرأ بنفس حروف هجاء اللغة الاصلية يتكلم بها اليوم اهل المقاطعات الحبشية وهي اللغات الامحرية والتغرية والهررية .

فمحور كلامي في هذا الخطاب عن اللغة الحبشية الامحرية ومقابلتها باللغة العربية لانها اللسان الحبشي الاعم والاكثر انتشاراً وهو اللغة الرسمية في الحكومة ويتكلم بها اربعة اخماس الحبشة . وهي التي تقرب ايضاً باشتقاقاتها من اللغة الحبشية الاصلية اكثر من أختيها التغرية والهررية السائرتين اليوم الى الزوال .

قلت آنفاً ان اللغة الحبشية اختٌ للغتنا العربية . ولا بدَّ للاخوات من التشابه ولو في بعض الوجوه . فما هي وجوه الشبه بين العربية والحبشية حتى يصحَّ ان يقال ان هذه اختٌ لتلك !

هذا ماتوخيتُ تفصيلهُ في هذا البحث فاقول :

وجوه الشبه كثيرة ولو رمتُ تعدادها لطال المقال ولكني اجتزيء منه بالقدر الكافي .

ابتدي ء بذكر الكثير من الالفاظ المتشابهة في اللغتين . فمن العربية ماهي حبشية الاصل كالنجاشي والمنبر والانجيل والمصحف والطاغوت والقسّ والحوار بين وغير ذلك مما افردتُ له باباً خاصاً في مجلة المجمع . ومن الكلمات الحبشية ما هي عربية الاصل او يتعذّر الحكم القاطع فيها اذا كانت عربية الاصل نقلت الى الحبشية ام العكس وذلك لان اللغتين عربيتان في القدم من ذلك راس وعين ولسان وكثير غيرها من

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الكلمات التي لها في كلا اللغتين نفس المبنى والمعنى . و (أدج) اي يد و (أكَر) (اي رجل) وأفنجا (اي انف) وأدّيس (اي حديث) ومسكوت (اي مشكاة) وكثير غيرها ايضاً مما يشبه في اللفظ الكلمات العربية التي تساويه في المعنى وقد نحتت وتطورت كما هو شأن النحت والتطور في الكلمات التي تؤخذ من لغةٍ الى لغةٍ .

اذكر ثانياً تشابه القواعد اللغوية بين اللغتين العربية والحبشية مع بعض الشواذات التي سأُلِمُّ بها :

الحروف الهجائية وحركاتها من ضمٍّ وفتحٍ وكسر وإشباعٍ لفظ حروف العلة كله موجود في اللغة الحبشية ما خلا الثاء والذال والضاد والظاء والعين على ان هذه تحتوي على حروف لفظها غير موجود في اللغة العربية كالتشين وهي غير الشين والدجيم وهي غير الجيم الموجودتين ايضاً فيها والكيم وهو في الحبشية حرف مستقل بعكس اللغة العربية التي فيها الجيم حرف يلفظ جيماً في سورية وكيماً في مصر ودجيماً في غير اقاليم . وزد على ذلك في اللغة الحبشية حركة لفظها (o) وحركة لفظها (é) او (ié) في بعض الكلمات وهاتان الحركتان غير موجودتين في اللغة العربية . والعربية كسائر اللغات السامية تكتب من اليمين الى الشمال ، اما الحبشية فهي وان كانت سامية تكتب من الشمال الى اليمين كلغات اوربا .

والصرف في اللغة الحبشية فيه كثير من القواعد والاشتقاقات والمزيدات كصرف اللغة العربية . من ذلك الفعل فهو ثلاثي ورباعي في الحبشية ولكنّ عين فعله على الدوام مشددة في الافعال الصحيحة نحو كدّل (اي قتل) وهو ثلاثي وأنبّب (اي قرأ) وهو رباعي . اما مزيدات الفعل في الحبشية فهي نفس المزيدات العشر في الصرف العربي لكنها غير مستعملة كلها . مثال ذلك صحّفَ (اي كتب) فيها تصحف (اي كتب او انكتب) وهو مستعمل للمجهول ، تصاحف (اي تكاتب) أَسْتَصْحَفَ (اي استكتب) وكذلك مشتقات الفعل من مصدر واسم فاعل ومفعول واسم آلة ومكان وزمان فجلهُ مستعمل في اللغة الحبشية . فيقال : صحفة (اي كتابة) ومصحف (اي مكتوب او كتاب) وصحافي (اي كاتب) ومَصحافيّا (اي مكتبة) وهلمَّ جرّا .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وفي الافعال الحبشية ايضاً افعال معتلة وفيها قلبٌ وحذفٌ وإعلال كالافعال المعتلة العربية . فمن معتلة الفاء مثلاً عندهم فعل آلَ (اي قال) واصله بالغين فحذفت الثانية وعوض عنها بمدة على الاولى . ومن معتلة العين فعل قومَ (اي قام) اصلها قوَمَ فحذفت الواو وأبدلت فتحة القاف ضمةً للدلالة على الواو ، وكذلك فعل هيدَ (اي ذهب) اصلها هَيَدَ حذفت الياء وأبدلت فتحة الهاء كسرةً للدلالة على الياء المحذوفة . ومن معتلة اللام فعل مطَّا (اي جاء) اصلها بالغين حذفت الالف الاخيرة للتخفيف ووضعت مدة على الاولى للدلالة على الالف المحذوفة . وهلمَّ جرًّا . وكذلك القول عن حروف المضارعة في صيغة الفعل المضارع . فيقال في صحَّفَ يصحف ونصحف وتصحِّف الخ . ولكن هذه الحروف المضارعة ساكنة في اللغة الحبشية على الاطلاق اذ لا بأس فيها من الابتداء بالساكن . على ان الفعل المضارع على هذه الصيغة لا يستعمل وحده في اللغة الحبشية بل يضاف اليه فعل مساعد في تصريفه كما يضاف فعل (Avoir) وفعل (être) في تصريف الافعال الفرنساوية . وهذه الافعال المساعدة هي فعل (أَلاَ) للحاضر (ونَبرَ) للماضي الناقص بمعنى كان . فيقال : يصحفال (اي يكتب) وتصحفاله (اي تكتب) وأصحفاله (اي اكتب) ونصحفان (اي نكتب) وقس على ذلك هذا عن الفعل .

اما الاسم ففيه السماعي وهو قليل بالنسبة للمشتق نظير مْدْرْ (اي ارض) سماي (اي سماء) ونحوهما . على ان اكثر الاسماء في اللغة الحبشية مشتقة من الافعال ، لذلك نرى الميدان واسعاً في المشتقات عندهم من اجل التعبير عن الاشياء الجديدة التي لا اسم لها قديماً في اللغة وخصوصاً المصادر واسماء الآلة .

المذكر والمؤنث في اسماء الاشياء سماعيان على الاطلاق ولا اداة تأنيث تدل على الاسماء المؤنثة . اما في الحيوانات فالاحياش يكتفون بذكر كلمة ذكر وانثى مع الاسم عند التخصيص . فيقولون وَنْدْفَرَس (اي فرسٌ ذكر عن الحصان) وسيبت فرس (اي فرسٌ انثى عن الفرس) وكذلك وَنْد أهْيا (اي حمار ذكر) وسيبت أهيا (اي حمار انثى عن الحمارة) وهلمَّ جرًّا .

صيغة الجمع في الاسماء الحبشية سالمة على الاطلاق وهي لفظة (أُوْتْش) تزاد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

على آخر الكلمة فيقال مثلاً سيفي فرس فرسوتش الا بعض الكلمات المعدودة تشذ عن هذه القاعدة فتجمع على صيغ شبيهة بصيغ الجموع العربية نحو مَصحف مَصاحِفة وقيس قساقسة (اي قسٌ وهو الراهب تجمع في اللغة العربية على قساوسة) ومن هذه ما تُجمع بالف وتاء نحو حواري حواريات (وهو واحد الحوار بين وهم صحابة المسيح) وسماي سمايات . و يظهر ان الالف وتاء التي هي جمعٌ للمؤنث السالم في اللغة العربية هي في اللغة الحبشية الاصلية لجمع المذكر السالم لذلك هم قالوا في سماي سمايات لان السماء مذكرة في اللغة الحبشية لا مؤنثة كما في اللغة العربية .

ولننتقلن بالبحث الى النحو فاقول :

النحو في اللغة الحبشية بسيط جداً . فالحرف مبني على الاطلاق كما في اللغة العربية والفعل المضارع فيه شيء قليل من الاعراب وهو الجزم وان شئت فقل النصب وذلك بان يحذف الفعل المساعد منه اذا دخلت عليه (أنْ) الناصبة . اما الاسم فكاللغة العربية بصح ان يكون فاعلاً ومفعولاً به وان يدخل عليه احد حروف الجر وان يكون مضافاً ومضافاً اليه وهذه مجمل قواعد النحو في الاسم الحبشي . اما الممنوع من الصرف والمبتدأ والخبر وكان واخواتها وان واخواتها وسوى ذلك من تطويلات النحو العربي فلا اثر لها في النحو الحبشي . يقوم الاعراب في اللغة العربية بتغيير حركات او حروف تحدث في اواخر الكلم اما الاعراب الحبشي فمقتصر على زيادة نون تنوين على آخر الاسم اذا كان مفعولاً به وهي كتنوين النصب في اللغة العربية اما المرفوع (اي الفاعل) والمخفوض اي المجرور بحرف جرّ او باضافة فلا دلالة ظاهرة في اعرابها وهما يعرفان من مكانهما في تركيب الجملة فيبتدأ بالفاعل وهو مبني ثم يأتي المفعول وهو منصوب بنون التنوين تدخل على آخره ثم المخفوض الذي يعرف من دخول حرف الجر او الاضافة عليه والفعل يبقى لآخر الجملة كتركيب الجمل في اللغة التركية . فاذا قلنا مثلاً : اخذ الولدُ الكتاب بيده ، ركبنا الجملة هكذا : لدجْ مصحفن بأدجو ياز . فلدج اي الولد هي الفاعل وقد وضعت في رأس التركيب ثم مصحفن اي الكتاب وهي المفعول به تعرف من دخول تنوين النصب عليها ثم بادجو (اي بيده) جارٌ ومجرور ومضاف ومضاف اليه يُعرف من دخول باء الجرّ عليه واضافته للضمير المتصل و ياز هي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فعل أخذ الماضي و بها تختم الجملة . بقي علينا كلمة عن الضمائر قبل ان نختم البحث في آداب اللغة . فالضمائر في اللغة الحبشية متصلة ومنفصلة كشقيقاتها في اللغة العربية فالمتصلة تتبع الاسم او الفعل وهي مبنية على الدوام كما في اللغة العربية نحو قولهم مصحفي (اي كتابي) مصحفك (اي كتابك) مصحفو (اي كتابه) . والمنفصلة تعمل عمل الاسماء فتبنى في حالتي الرفع والجر وتدخل عليها نون التنوين في حالة النصب نحو انا اياكَ كلتُ فيقولون أنيه أنتنْ نكرهو .

آداب اللغة من معان وبيان وفصاحة ومنطق وعروض وسجع كله موجود في اللغة الحبشية ولكن بحالة اولية جداً . فالنظم مثلاً يوجد منه بعض مقاطيع قديمة هي خليط من اللغة الحبشية الاصلية واللغة الحبشية الامحرية ، أبياتها مقفاة ولكن اوزانها سقيمة جداً كالشعر العامي في العربية المعروف بالقرادي . وجميع هذه القصائد هي في مديح بعض الانبياء والاولياء او في تعظيم بعض الملوك والقواد الفاتحين . كذلك السجع لم أرَ منه الا في الاغاني الاهلية وهي من هذا القبيل تشبه الاغاني العربية المسجعة التي تأتينا من مصر فتُلحَّن على انغام مختلفة واذا جردناها عن اصول النغم وحسن صوت المغني نجدها كلمات لا طعم لها ولا لذة . وما سوى ذلك من آداب اللغة فالفصاحة فيه كل الفصاحة يضعونها بالاختصار ما امكن وهي عندهم من باب : خير الكلام ما قل ودل على انهم مع ذلك يكثرون من التعظيم والاطناب ونفخة الكلام في الدبباجة كما هو الشأن في اللغات الشرقية كافة .

واختتم على سبيل الفكاهة بمثال من الانشاء بعد عند الاحباش بالغاً حدّ الفصاحة . وهو صورة رقيم من النجاشي السابق منليك الى ابن اخته الراس مكونين امير البلاد الهررية الخاضعة له انشأ الكاتب الامبراطوري الخاص وحافظ اختام النجاشي يقول بعد وضعه ختم سيده في أعلى الرسالة كعادة قياصرة الرومان .

لقد ظفر الاسد الذي من سبط يهوذا رسالة منليك الثاني بنعمة الله ملك صهيون ملك ملوك الحبشة ، ابن سليمان بن داود حسب الجسد وابن بطرس وبولس حسب النعمة ، الذي بيده حياة رعاياه وموتهم ، الذي تعنو له بنو البشر والحيوان . الذي لا يحلف باسمه بشرٌ باطلاً فيجبي ولا يُستحلف باسمه رجل فلا يُطيع . الذي اذا قال

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فعل واذا امرَ لا مردَّ لامره واذا قضى لا استئناف لحكمه . جندي الله ومحارب اعداء الله . الى الراس مكونين ، فليكن لك سلامنا ، بما ان عبدنا العقوق اوليه الذي جعلناه راساً واقطعناه بلاد ابيه قدقام علينا ، قمْ انتَ بجيشك وقاتله وأتنا به مكبلاً بالحديد . حُرّر في مدينة اديس ابابا في اليوم الثالث من ايام النسي عام ١٨٧٠ من سني النعمة .